مجلة الناقد للدراسات السياسية | المجلد: 06 / العـدد: 01 (2022)، ص 24– 49

السرديات المركزية المشكّلة لإسرائيل: من وجهة نظر استشرافية

The Israeli Primary Narratives: a Futurist's Perspective

محمد خميس

جامعة ورقلة (الجزائر)، khemiss-moh@hotmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/02/04 تاريخ القبول: 2022/03/04 تاريخ النشر: 2022/04/18

ملخص:

تسعى الدراسة إلى البحث في الآليات التي تظافرت في بناء المشروع الصهيوني كدولة قومية لليهود كتجربة سوسيو– تاريخية خاصّة، قامت على مجموعة من السرديات المركزية المؤسّسة التي تجذّرت عميقا في العقل والممارسة السياسية الإسرائيلية، كما عملت هذه السرديات كقوى دافعة حقيقية لصوغ حاضر ومستقبلات إسرائيل، والصراع العربي– الإسرائيلي بشكل عام. تحاول هذه الورقة البحثية تفكيك النسق الداخلي للسرديات الإسرائيلية من خلال منهجية تحليل ما ورائي للقوى الدافعة meta-analysis of driving forces كمقاربة تسعى لإماطة اللثام عن السرديات بوصفها القوى الدافعة الخفية، أو القوى الأكثر عُمقا، والتي تشتغل كديناميات متوارية داخل الطبقات العميقة وخلف المظاهر والأحداث الراهنة، وخصوصا في ظل تعقّد المشهد الإسرائيلي بوجود عدد لا متناه من الإشارات والمؤشرات التي تلقي بظلال من الغموض والضبابية أمام المستشرف أثناء بحثه عن الدلالات والمعاني للأحداث والسرديات في تشكيل الرؤى المستقبلية في إسرائيل.

كلمات مفتاحية: السرديات المركزية؛ إسرائيل؛ الوجود والبقاء؛ اليهودية؛ المهمة التعاقدي.

Abstract:

Different primary narratives that reside within the deepest layers of Israeli's mindset have made the Socio-historical Zionist attitude of Israel state building. Those narratives described as the real driving forces of the present and the future of Israel. This paper aims to analyze the Israeli's narratives through meta-analysis of driving forces, whether those manifested or those hidden beyond the daily occurrences. Particularly in the presence of endless signals in Israel's political scene, which create a foggy and ambiguous vision to the futurist who is seeking for clues and meanings. The study has shown the overall predominance of the 'existence and survival' narrative over the Israeli elite's mindsets, this narrative particularly has been manifested in multiple ways, throughout Israeli political discourses, as it was the corner stone for the Israeli military doctrine of superiority.

Keywords: Primary narratives; Israel; Existence and survival; Judaism; Covenant mission.

المؤلف المرسل: محمد خميس، **الإيميل**: khemiss-moh@hotmail.com

مقدمة:

تدور السرديات المركزية حول مجموعة من المقولات الكبرى التي تُستدعى أثناء العمليات التاريخية لبناء كيانات الأمم والدول، وتتشكّل تدريجيا ضمن سياقات سوسيو-تاريخية خاصّة، حيث يحرص الفاعلون التاريخيون على خلق الإجماع حولها من أجل أن تتطابق مع الصورة المأمولة عن الذات، وتتسق مع مجمل مكونات الهوية للجماعة السياسية.

ويمكن القول أنّ السرديات المؤسِّسة لأي مشروع سياسي أو اجتماعي تُلقي بثقلها على المسارات والتمشيات المستقبلية له، لأنّها تمثل القوى الأولية والابتدائية التي تقود التغيير المستقبلي، أو هي العلل الأولى، المسببة للأحداث والتغييرات الظاهرة فيما بعد للعيان، ولذلك يحاول البحث الاستشرافي، تحديد هذه القوى بشكل دقيق، وتمييزها عن غيرها من القوى الزائفة والمضللة التي تلتبس بها، وتشوّه قراءة المستشرف لأنماط التحول المستقبلي.

ومن ثمّ، يعمل المستشرف على تفكيك تلك القوى الأولية، وتحليل النسق الداخلي لها كسرديات مركّبة، عن طريق منهجية تحليل ما ورائي للقوى الدافعة meta-analysis of the driving forces، وهو بحث يميط اللثام عن السردية بوصفها قوة خفية وغير مرئية invisible force، أو هي القوة الأكثر عمقا Deeper driving force، ويمكن أن تُرصد كدينامية مخفية ضمن الطبقات العميقة[1] للظاهرة، ويُسند لهذه القوة الخفية كل ما يطرأ من تغيّرات وأحداث في الراهن، وعلى أساس ذلك ندعوها بالسردية المركزية.

ويبدو أنّ عملية بناء المشروع الصهيوني لإسرائيل كدولة قومية مثّلت تجربة سوسيو-تاريخية خاصة قامت على مجموعة من السرديات المركزية الجدلية، التي تجذّرت عميقا في بنيات العقل السياسي الإسرائيلي الحديث، كما عملت في نفس الوقت كقوى دافعة حقيقية نحو تشكيل حاضر ومستقبلات الصراع العربي-الإسرائيلي.

إذا كانت السرديات المركزية تمثّل للمستشرف أعظم الاتجاهات Mega-trends، أو أكثر القوى القائدة والدافعة تأثيراً على المستقبل، فإنّه يتعين على المستشرف رصدها وتتبعها وقراءتها من مصادرها المختلفة من وثائق رسمية وتقارير مؤسسات ودوائر صنع القرار، أو مراكز البحث والتفكير.

ففي النموذج الأمريكي على سبيل المثال، مثّلت تقارير النشرية الرباعية للدفاع، أو إصدارات المجلس القومي للاستخبارات، مثل تقارير الاتجاهات العالمية مصادر قيّمة لرصد السرديات المركزية الأمريكية، لأنّ هذه الوثائق توفّر توصيفات واضحة للسرديات بعيدة عن اللبس والغموض، وبذلك ترسم تقاطعات عديدة ضمنها حول الاتجاهات الكبرى والقوى الدافعة الموجودة في بيئة صنع القرار الأمريكي[2].

وفي المقابل، فإنّ السرديات المركزية الإسرائيلية يمكن رصدها في مصادرها الرسمية وغير الرسمية على غرار السرديات الأمريكية، مثل: "التقرير النهائي لمشروع دانيال" " The Final Report of Project Daniel" أو "رؤية إسرائيل 2020" أو "إسرائيل 2028" الصادر تحت إشراف اللجنة والمؤسسة العلمية التكنولوجية الأمريكية الإسرائيلية The US- Israel Science and Technology Commission and Foundation، فمثل هذه المصادر التي تحاول رسم السيناريوهات والتمشيّات المختلفة لمستقبل إسرائيل من خلال تقديم إجابات وتصوّرات عن الحاجات الضرورية والقضايا الاستراتيجية ذات الأهمية القصوى لصانع القرار الإسرائيلي، وأثناء قيامها بذلك تعبّر السرديات المركزية بصفة معلنة أو مستترة عن مضامينها داخل محتويات تلك الوثائق.

إنّ سردية على نحو سردية "البقاء والاستمراية في الوجود" لا يمكن رصدها واستشفافها إلّا من خلال تفكيك السيناريوهات التي تتحدث عن المخاطر والتهديدات في التقارير الرسمية، أو قد نكتشف السردية عندما يحاول صانع القرار صوغ استراتيجيات متعلقة بطبيعة التهديدات، كأن تكون تماثلية أو لا تماثلية، أو توصيف العدائيات ومصادرها من فواعل تقليدية كالدول وجيوشها، أو فواعل غير تقليدية تعمل في مستويات ما دون الدولة أو غيرها. ولرصد مختلف السرديات يمكن استخدام نفس الأسلوب.

فإذا افترضنا أنّ السردية المركزية للولايات المتحدة الأمريكية هي "استمرار ها كقوة عظمى في المستقبل البعيد"، يمكن على أساس هذه السردية أن تتبلور في ذهن المستشرف أو صانع القرار سيناريوهات واستراتيجيات مختلفة ومتعددة، فيمكن أن تتناول سيناريوهات هذه السردية جوانب وقضايا مستقبلية عديدة مثل: مستقبل القيادة والزعامة الأمريكية في النسق الدولي، أو فكرة تطوّر التحالفات على مستوى النسق الدولي، أو التهديدات من طرف القوى الصاعدة أو العدائيات الأخرى أو غيرها.

ولكن تحديد السردية المركزية بشكل واضح ليس بالعملية الهيّنة في معظم الحالات، وخاصّة عندما تكون السرديات المركزية والمؤسِّسة في وضع جدلي، ولم يجرِ الاتفاق حولها بشكل نهائي، وهو ما ينطبق على

الحالة الإسرائيلية بشكل خاص، على غرار ما لاحظه ديفيد باسيج، أثناء استعراضه لبعض أسباب الغموض في تحديد السرديات المشكّلة لمستقبل إسرائيل، وبالمقارنة مع الحالة الأمريكية التي أشرنا إليها آنفاً. فثمة شبه توافق مجتمعي أمريكي على أفكار من قبيل الليبرالية والفردانية، أو الاستثنائية الأمريكية، أو الروح المسيانية/ الرّسالية Messianism، حيث تشكّل هذه الأفكار المكونات الأساسية للسردية المركزية الدافعة نحو الحركة والفعل داخل النسق الأمريكي بشكل عام، الأمر الذي عجز الإسرائيليون عن تحقيقه، ففكرة "يهودية الدولة" مثلاً ليست محل توافق مجتمعي شامل، لا على مستوى الداخل في إسرائيل، ولا على مستوى الدياسبورا الإسرائيلية.

وعلاوة على ذلك، فإنّ غموض السردية يصدر كذلك عن اقتصار معظم الطرائق والمنهجيات البحثية حول إسرائيل والصراع العربي– الإسرائيلي على دراسة وتفسير المتغيرات الراهنة والآنية، في حين أثبتت بعض الأساليب الاستشرافية التي تعتمد على تحليل ما ورائي للقوى الدافعة فهما أفضل للتفاعلات العميقة التي تنتج المتغيرات الآنية الظاهرة للعيان، وخصوصاً عندما تتداخل الإشارات المستقبلية في راهن الظواهر لتخلق نسيجاً مركباً ومعقداً يحول دون وضوح الرؤيا والمعنى في الأحداث اليومية، فإذا افترضنا أنّ "يهودية دولة إسرائيل" هي سردية مركزية قائدة ودافعة للأحداث باتجاه معين، سوف يجد المستشرف سيلاً منهمراً من المعلومات والإشارات التي تُخفي وراءها هذه السردية، وتضمرها إلى الحد الذي تغيب فيه المسوغات والمبررات المنطقية حول العلاقة بين السردية والحدث اليومي، ولذا فالسؤال الذي يطرحه المستشرف في هذا الوضع هو: كيف نجد رابطا منطقيا بين سردية "يهودية دولة إسرائيل" مثلاً ومؤشّر تراجع الدعم من طرف الحزبين الديمقراطي والجمهوري في الولايات المتحدة الأمريكية بسبب تعاظم الاستقطاب الداخلي بين الحزبين، وبسبب تعاظم قوة اليمين داخل إسرائيل؟ والتسرع في الإجابة عن سؤال كهذا قد تدفع بالباحث إلى تسليط الضوء على المتغير الثاني العرضي بدلاً من السردية المتوارية وراء الشبكة المعقدة من الإشارات والأحداث اليومية المتسارعة، وعليه ففي الحالات التي تتوارى السردية عن عين الباحث، وتختفي وراء التعقيد وزخم الأحداث، يحاول الباحث/المستشرف فكّ هذا الغموض عن طريق صوغ مجموعة من الافتراضات المساعدة على كشف السردية المتوارية ومضمونها بوصفها أهمّ قوة دافعة.

واختلفت الأساليب البحثية الاستشرافية في تحديد السرديات المركزية بين الطرائق الحدسية الكيفية ونظيرتها من الأساليب الاحتمالية الكمّية، كما يوجد ثمّة من يحاول الجمع بين كلا الأسلوبين، فالحدسيون

يعتمدون في تحديد وتصنيف القوى الدافعة والقوى الأساسية الحتمية كالسرديات المركزية على تخطيط مجالي في الميادين التالية: السياسي، الاقتصادي، الاجتماعي، التكنولوجي، الإيكولوجي، والقانوني، والمشتهرة اختصاراً PESTEL[3]، مُفترضين وجود رابط عابر للمجالات بين هذه القوى المختلفة، لتشكّل فيما بينها آثاراً للتعاقب السببي بين عامل وآخر، وتخلق ما يسمّى باتجاهات التأثير 'Arrows of influence' لمجموعة من القوى تتميز باستقلاليتها وقدرتها على التأثير .

وفي المقابل، فإنّ الأساليب الكمّية الاحتمالية تعتمد غالباً على تقنية مصفوفة التأثير المتبادل Cross-impact analysis لمعرفة العوامل أو المتغيرات الأساسية أو حتى السرديات المركزية، فتنظر إلى مكونات الظاهرة على أنّها متغيرات متفاعلة داخل نظام لا يمكن قياس مستويات تأثيراتها إلّا من خلال وضعها داخل مصفوفة، وطرح سؤال على كل المتغيرات على النحو الآتي: إذا حدث (أ) فما هو تأثيره على (ب)؟

تعمل مصفوفة التأثير المتبادل أو مصفوفة التحليل الهيكلي (MICMAC) (المستخدمة في المدرسة الفرنسية للاستشراف La prospective)[4] على تحديد المتغيرات، ووصف العلاقة بين المتغيرات في إطار مصفوفة، ثمّ اكتشاف المتغيرات المفتاحية أو القوى الدافعة، أو السرديات المركزية، وهو ما اعتمده باسيج في دراسته "مستقبل إسرائيل The Future of Israel"، من أجل تجاوز معضلة التحديد الدقيق للسرديات المركزية التي تمثل القوى الابتدائية في الطبقات العميقة التي تخلق آثاراً سببية تسلسلية قد تنتهي بوقوع الأحداث الكايوسية الكبرى، أو تتحكّم بشكل شبه حتمي في سيرورة وتمشّيات معظم الأحداث الراهنة والمستقبلية، وبذلك اعتمد باسيج على مصفوفة ثلاثية البُعد تتكوّن من المتغيرات التالية: الإثني، الثقافي، القومي، الاقتصادي، الإنساني Humanitarian ، الديني.

يبدو أنّ السرديات المركزية بنيات مركّبة شديدة التعقيد تظل تتفاعل بشكل مستمّر ضمن متغيرات الأحداث الجارية على نحو قد يدفع في بعض الأحيان إلى حدوث التغيرات الكبرى، أو المفاجآت الاستراتيجية أو الكايوسية، ولذلك سوف تحاول هذه الدراسة البحث في مضامين السرديات المركزية المؤسسة لإسرائيل وعلاقتها بمستقبلات إسرائيل، من خلال الأسئلة الآتية:

- ما هي أبرز السرديات المركزية الإسرائيلية المؤسّسة التي تساهم في صوغ المستقبلات الإسرائيلية؟
- كيف تتكون وتتفاعل السرديات الإسرائيلية على نسق الأحداث الراهنة ومستقبل إسرائيل؟

أولاً: إشكالية تعدّد الدلالات والمعنى في المشهد المستقبلي الإسرائيلي:

يمثّل المشهد الإسرائيلي في راهنه مشهداً مركّبا شديد التعقيد، تتمازج في تشكيله عدد لا متناه من الإشارات والمؤشّرات، التي يصعب تحديد ماهيتها وأبعادها، ومديات تأثيرها، بين القريب والمتوسط والبعيد، فضلاً عن انتفاء المعيار الذي يمكن لنا من خلاله أن نصف حدثاً ما كإشارة مهملة بلا قيمة، فيما نصف حدثاً آخر على أنّه مؤشّر لحدوث تغيّر مستقبلي عميق وجذري، يمكن أن يقلب المستقبل الإسرائيلي رأساً على عقب.

إنّ خارطة الأحداث الراهنة في الداخل والخارج الإسرائيلي بما فيها تأثيرات الدياسبورا الإسرائيلية (يهود خارج إسرائيل) تشكّل مشهداً ضبابياً لا يقينيا يشمل على أحداث متشابكة تسير في اتجاهات عشوائية وبمتغيرات لا حصر لها، كما قد يُلاحظ في الأحداث التالية:

- يشهد المجال الاستراتيجي تطوّراً إيجابياً صاعداً يتجلى في زيادة الدعم الحكومي الأمريكي (أثناء إدارة ترمب)[5]، وأفضل مثال له: هو تنفيذ قرار تحويل السفارة الأمريكية إلى القدس، كما يظهر الدعم في صور التصريحات الرسمية الرافضة لاستعداء إسرائيل.
- هناك تصاعد في حسّ الاستعجال السياسي Political urgency في داخل إسرائيل، لاقتناص الفرص المتاحة، التي توفّرت أثناء صعود الرئيس الأمريكي دونالد ترمب إلى الحكم في الولايات المتحدة الأمريكية، ممّا يدفع الإسرائيليين إلى تجاوز معضلة التردد في كل ما يتعلق بالشؤون والمسائل القانونية في تسوية الصراع مع الفلسطينيين عبر تقليص أو إلغاء حلّ الدولتين، وإلحاق الجغرافيا الفلسطينية جزئيا أو كليا بإسرائيل.
- تزايد الدعم الذي تتلقاه إسرائيل، يعزّز من قوة الأحزاب اليمينية الشعبوية في أوروبا، وهي بدورها تدعم إسرائيل (استثناء حزب ماري لوبان اليميني الفرنسي الذي يجهر بمعاداته لإظهار الرموز الدينية بما فيها القبعة اليهودية 'Kippa' في المجال المدني الفرنسي)
- يتزايد الدعم لإسرائيل بناء على تزايد التخوف من الإرهاب الإسلامي، والهجرة غير الشرعية، ممّا يدفع نحو الانفتاح على إسرائيل بشكل أكبر، والقبول بفرضية التهديد الإرهابي الإسلامي المشترك لإسرائيل والدول الغربية.
- زيادة الشرعية في جانب الاتجاهات القومية في إسرائيل.

- النزوع نحو الراديكالية في الكثير من المكونات الليبرالية للحزب الديمقراطي في الولايات المتحدة الأمريكية باتخاذها مواقف سلبية تجاه إسرائيل.
- التراجع المستمر في الدعم لإسرائيل من قبل الحزبين الديمقراطي والجمهوري بسبب الاستقطاب الداخلي في الولايات المتحدة الأمريكية من جهة، وبسبب تعاظم قوة اليمين الإسرائيلي من جهة أخرى.

أمّا على مستوى الدياسبورا والخارج الإسرائيلي فيمكن أن نشير إلى مجموعة الأحداث والاتجاهات التي تمثّل طيفا ريبياً ضبابياً في المشهد الإسرائيلي:[6]

- إنّ المجتمعات التي تبتعد عن القيم الليبرالية العالمية تميل نحو القومية وتطوير الهوية الداخلية ممّا يزيد من حجم الكراهية تجاه الأقليات بما فيها الأقليات اليهودية.
- الضغوط الاقتصادية على الطبقة الوسطى في الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا يمكن أن تعزّز تصاعد موجات معاداة السامية في هذه المجتمعات ضد اليهود وخاصة ضد هؤلاء الذين يحققون نجاحاً اقتصاديا.
- يمكن أن تتعرض المعاملة التفضيلية لليهود في أوروبا منذ الهولوكوست للخطر.
- انهيار القوة السياسية لليهود الأمريكيين لغياب الإجماع بينهم بسبب زيادة الاستقطاب بين يهود الداخل (إسرائيل).
- التراجع الواضح في مستوى دعم إسرائيل من طرف الحزبين الديمقراطي والجمهوري وتزايد الفجوة بين الحزبين تجاه إسرائيل، ما يعني زوال تأثير المنظمات الأمريكية المقرّبة من إسرائيل، وذلك على الرغم من بقاء مسألة دعم إسرائيل من أبرز قضايا الإجماع بين الحزبين.
- إمكانية تراجع قوة المنظمات الإسرائيلية في المستوى المحلّي والمستوى القومي بسبب الانزعاج العام من نوعية القيادة الحالية كما أنّ الأنظمة والبدائل المقدّمة من طرف الوسائط الاجتماعية تساهم في تعزيز هذا الاتجاه، وتوفّر مجالا للتفاعل الرمزي (Virtual) بين الجماعات ممّا يخلق حالة عزل الذات (Self-isolate).
- بسبب تزايد الاستقطاب السياسي والاجتماعي (داخل إسرائيل) سوف يؤدّي ذلك إلى حدوث استقطاب مماثل داخل المجموعة الأمريكية اليهودية.
- اتساع الفجوة ما بين المجموعة الأمريكية اليهودية وما بين القيادة التنظيمية لليهود الأمريكيين الموكل لها التعامل مع إدارة الرئيس الأمريكي السابق دونالد ترمب.

تشكّل هذه الأحداث مشهداً مركباً لمجاميع من المتغيرات موجودة على المستوى الحالة الإسرائيلية الراهنة داخليا وخارجيا[7]، ولكن المشكلة التي تطرحها هذه الأحداث بالنسبة للمستشرف وصانع القرار على حد سواء، تكمن في منح الدلالات والمعاني "making sense of uncertainty" لهذا الطيف الريبي بعيداً عن التحيّز، والتفكير الرغبوي، ومعنى ذلك إيجاد الجمل الخطية الحقيقية، للتسلسل السببي بين الحدث الأولي والنتائج المترتبة عنه، وتصنيف هذه المجاميع من الأحداث، من خلال قيمتها ومدى تأثيرها على المستقبل، سواءً كانت إشارات ضعيفة وتحوّلات بسيطة أو تحوّلات عميقة ذات علاقة بقوى دافعة وقائدة، تقف وراء تحريك الأحداث الصغيرة.

ومن أجل معرفة القوى الأساسية أو القوى الدافعة، ثمّ معرفة السرديات الكبرى التي تقف وراء تلك القوى، ثمّة حاجة إلى تفكيك العلاقات السببية بين مجاميع المتغيرات التي ذكرناها سالفاً وغيرها من المتغيرات، ويحتاج ذلك إلى تتبع سلاسل الأحداث بالتراجع زمنيا إلى غاية بداية المشروع الصهيوني على الأقل من أجل تحديد القوى الابتدائية الأولى the initiating forces التي ظلت تتطور لتنتج المشهد في إسرائيل اليوم، وقد يؤدّي الفشل في تحديد هذه القوى والسرديات بشكل دقيق إلى فشل في استشراف مستقبل إسرائيل، وتفاعلاتها الصراعية إقليميا وداخليا.

يدفع اللايقين الباحثين إلى إيجاد بعض الطرائق البحثية الملائمة التي تمكّن الباحث من تقليص الريب إلى حدوده الدنيا لتجاوز ما يُدعى بالعشوائية الابستيمولوجية، الناتجة عن عدم كفاية أو عدم ملائمة الآليات المنهجية ووسائل القياس المتاحة مع حجم الارتياب الذي يحيط بالظواهر عموماً، ومن بين هذه الأساليب:

منهجية مصفوفة التأثير المتبادل التي استخدمها باسيج في دراسته السالفة الذكر، أو منهجية التحليل السببي المركّب Causal Layered Analysis التي تمّ استخدامها من طرف آفنر غولوف Avner Golov وزملائه في دراسة بعنوان: A National Security Doctrine for Israel عقيدة أمن قومي لإسرائيل ، نُشرت سنة 2010[8]، ويظهر من خلال هاتين الدراستين المحاولات المنهجية لتقليص اللايقين المتعلق بضبابية المشهد الإسرائيلي نتيجة وجود زخم للأحداث والمتغيرات لا ترافقه قدرة تحليلية ملائمة تمكّن من فهم هذه الأحداث وتصنيفها، وتحديد قيمة كل حدث بالنسبة لمستقبل إسرائيل ووجودها، فضلاً عن محدودية بعض المناهج التقليدية (غير الاستشرافية) في تحليل مشكلة الضبابية واللايقين الذي يحيله بعض الدارسين إلى مشكلة العشوائية الإبستيمولوجية.

ولذلك يجدر التنويه بأهمية كل من محاولة باسيج وغولوف وزملائه، فالأولى وضع فيها الباحث 6 ست قوى دافعة أساسية تتمثل في: الإثني، الثقافي، قومي، اقتصادي، إنساني، ديني، وتحتوي كل قوة دافعة على أحداث ومتغيرات صغيرة تتفاعل مع المتغيرات الصغيرة الأخرى للقوى الأخرى ضمن مصفوفة ثلاثية البُعد لتكشف لنا في المحصلة البنيات Strata العميقة أو السرديات المركزية التي تتحكم في سلوك ومستقبل دولة إسرائيل، كما يوضّح الجدول رقم (1)، أمّا القوى الدافعة الأساسية التي تقف وراء الصراع العربي الإسرائيلي فتم توصيفها على النحو الآتي[9]:

"الإثنية" كقوة دافعة: هي صراع بين مجموعتين حول إقليم جغرافي محدّد، يدّعي اليهود ملكيتهم له، كوعد إلهي منذ 3700 سنة، فيما ترى المجموعة الإثنية العربية أنها أحفاد الكنعانيين الذين سكنوا الأرض قبل الوعد المزعوم.

"الثقافي" كقوة دافعة: وهو الصراع بين الثقافة الشرق أوسطية لمجموعات تضم الدروز، والبدو، الشركس، المسلمين، المسيحيين، وآخرين، ولا تقبل هذه المجموعات بوجود مكوّن ذي ثقافة غربية في وسطهم يحمل قيم وتصورات ونمط حياة مختلف ومغاير بشكل مطلق.

"القومي" كقوة دافعة: ويمثل الصراع بين وحدتين قوميتين تتصارعان حول تحديد هويتيهما، ويتأزّم الوضع أكثر حين يتداخل مفهوم الهوية لدى هاتين المجموعتين مع متغيرات وسياقات العوامل الاقتصادية والثقافية والدينية.

"الاقتصادي" كقوة دافعة: ويتجلى في الصراع حول الموارد المائية، والموارد والطبيعية.

"الإنساني" كقوة دافعة: ويكون بتبني أحد طرفي (إسرائيل) الصراع تعريفاً عنيفاً للعلاقة مع الآخر كنتيجة لآلاف السنين من المعاناة والقهر، ممّا لا يدع مجالا للنزعة الإنسانية كي تسود في تعريف المكون المجاور (الفلسطيني–العربي).

"الديني" كقوة دافعة: شكّلت ثنائية الصراع الإسلام واليهودية صراعاً طويلا لسرديتي كلا الدينين منذ آلاف السنين، وتبدأ باختلاف السرديتين حول تضحية النبي إبراهيم، انتهاء باختلاف وتناقض الدلالات الدينية الماضية والحاضرة والمستقبلية لما يُدعى بجبل الهيكل. كما هو موضح في الجدول 1

الجدول 1: مصفوفة ديفيد باسيج ثلاثية الأبعاد لبيان العلاقات بين القوى الدافعة والأحداث في إسرائيل

	إثني	ثقافي	قومي	اقتصادي	إنساني	ديني
	جلب الفلاشا إلى إسرائيل	**عودة السيادة على جبل الهيكل**	**إسرائيل موحدة إلى الأبد**	**قوانين "شميتا" والاقتصاد المعاصر**	**عدم الانخراط أو الترنسفير للشعوب**	**اليهودية كدين رسمي للدولة**
	اقتصادي	**ديني**	**إثني**	**إنساني**	**قومي**	**ثقافي**
ثقافي	السبت "شباط" كيوم عادي للعمل	تعريف "من هو اليهودي؟"	نقاشات الكنيست وبالعربية والعبرية	حق غير اليهود في شراء بيوت في المدن اليهودية أو أراضي الصندوق القومي اليهودي	الخدمة الوطنية للذين لايخدمون في الجيش الإسرائيلي	عرض موسيقى "واغنر Wagner" في المناسبات الثقافية العامة
قومي	خصخصة صناعات الدفاع	قانون العودة	دولة لكل مواطنيها	جدار الفصل	خدمة وطنية لأفراد الأقليات	السماح لأعضاء الأقليات بنشيد وطني بديل
إنساني	زيادة دعم الأسر الأحادية الوالدين	زيادة منح كبار السن	المواطنة لأطفال العمال الأجانب	استفادة من الضمان الاجتماعي لعائلات المتورطين في الإرهاب	"التركيز على اغتيال الإرهابيين" هو إعدام بدون محاكمة	مجتمعات مزيج (يهود ومسلمون)

إثني	المساواة في الفرص لأفراد الأقليات	المواطنة للجنود غير اليهود	وضع وحقوق المهاجرين من إثيوبيا	استخدام القوة غير الضرورية ضد احتجاجات الأقليات	اختلاف في المنظومة التعليمية بالنسبة لأعضاء الأقليات والمتشددين الأرثوكس وآخرون	تعزيز حقوق أقلية النساء اللواتي يعملن خارج البيت
ديني	الادخار النهاري إلى نهاية عطلة الخريف	وضع شهادة "Kashrut h" من طرف الدولة أو الحاخامات أو الأرثوذكسية المتشددة	يهود الإشكيناز في مواجهة السفارديم	الجنسية للإباء غير اليهود للجنود الإسرائيليين	توفير وضع تساوي للخدمات الدينية للإصلاح الحاخامي	حقوق متساوية للميزات الاجتماعية لفئة المثليين
اقتصادي	دولة رأسمالية أو ديمقراطية اجتماعية	عام "الشميتا" في اقتصاد معاصر	حقوق متساوية للذين لم يخدموا في الجيش الإسرائيلي	زيادة الإعانات للعائلات الكبيرة	التساوي في الفرص	فرص متساوية للنساء العاملات

Source: Passig, p,15

توضّح مصفوفة باسيج ثلاثية الأبعاد الآلية التي تتفاعل بها القوى الدافعة أو السرديات مع أحداث واتجاهات الراهن وتوجّهاتها، فعلى سبيل المثال: تعمل سردية الدين، مع العامل الإثني كقوة دافعة، مع السردية القومية القائلة بإسرائيل الموحدة لتشكّل في الراهن الحدث المتمثل في الاستقطاب بين يهود الاشكيناز ويهود السفارديم.

كل حدث في مصفوفة باسيج مرتبط ظهوره بثلاث قوى أو سرديات مركزية، فزيادة دعم العائلات في إسرائيل كحدث أو سياسة راهنة تتحكم فيه القوى والسرديات التالية: العامل الإنساني، والاقتصاد، والعامل الإثني في ظل سياسة جلب يهود الفلاشا إلى إسرائيل.

ويتضح من خلال هذين المثالين الجمل الخطية والارتباطات السببية الممكنة والمحتملة بين القوى الدافعة بمختلف أشكالها بما فيها السرديات والمتغيرات التي تُرصد بشكل يومي في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها، وهو ما يسمح بإزالة الضبابية واللّامعنى الذي تضفيه الأحداث والإشارات المختلفة المتفاعلة في واقع المشهد الإسرائيلي.

في المقابل اشتغلت دراسة غولوف وزملائه بمنهجية حدسية تشاركية ضمّت 20 باحثا، عملوا ضمن فريق بحث يسعى إلى معرفة المحدّدات الحقيقية التي تحقق لإسرائيل هدف الأمن والبقاء، من خلال دراسة وتحليل 53 محدّدا مختلفا، ظهر ثمّة 10 محددات وصفت لدى أغلبية الباحثين بأهميتها، قبل أن يتم اختزال العشر متغيرات في خمسة متغيرات ذات أهمية قصوى، وكانت بمثابة السرديات الأساسية المتحكّمة في مستقبل أمن إسرائيل، وارتبطت هذه المتغيرات أساساً بمجالي البحث العلمي والتعليم كما يظهر في الجدول2.

الجدول 2: أوزان المتغيرات لبيان المهمات الإسرائيلية المقترحة من طرف فريق بحث غولوف

المتغيرات (بيان المهمات)	درجة التوافق عليه بين الباحثين بالنسبة المئوية	وزن المتغير في تشكيل مفهوم الأمن: (مهم جدّا: 1، مهم: 2، مهم نسبيا: 3، غير مهم: 4
على إسرائيل أن تبقى الأكثر تفوقا في التعليم والابتكار العلمي على حساب جيرانها	95	1.10
التعليم لب التخطيط الاستراتيجي	75	1.10
استقلالية إسرائيل في مجال الماء والطاقة	80	1.15
انتشار السكان في حواف الدولة، وخلق مراكز أمنية على الحواف	80	1.15
توحيد القيم التعليمية لكل قطاعات السكان.	70	1.25
تطوير النقب	75	1.35
ارتكاز التعليم على حكم القانون	75	1.35 |
تعميق العلاقات التجارية مع الجوار لجعل تكلفة الحرب عالية على دوله.	75	1.40

Source : Golov, p, 47

ثانيا: "البقاء والوجود" أمّ جميع السرديات

إنّ البحث عن السرديات المركزية هو البحث عن القوى الابتدائية التي اختفت وتوارت عبر الزمن، فالقوى الدافعة الأولى للمشروع الصهيوني التي كانت نتيجة تمازج مجموعة من التيارات والاتجاهات منذ بدايات القرن العشرين، ولم يعد لمجمل هذه السياقات أي وجود في الوقت الراهن، فحتى الشعور الغربي بعقدة الذنب تجاه الإبادة الجماعية "الهولوكوست" التي تعرّض لها اليهود بسبب النازية ينزع نحو التلاشي والسبب هو تلك المسافة الزمنية ما بين الحدث الأولي/ الابتدائي والواقع الراهن (حوالي 75 سنة)، فضلاً عن أنّ تأسيس دولة إسرائيل في 1948 كان بمثابة التسوية والتعويض الذي قدمته القوى الغربية للتكفير عن ذنب الهولوكوست الذي حدث أثناء الحرب العالمية الثانية[10]، كما أنّ ظاهرة الاستعمار ودعم فكرة اقتطاع مساحة جغرافية ومنحها لشعب آخر ، لم تعد مقبولة على صعيد القانون الدولي، ضمن ما يعرف بظاهرة تصفية الاستعمار Decolonization التي انطلقت في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية، وبذلك فإنّ المأزق الذي نجم عن المشروع الصهيوني كحدث ابتدائي، استخدم أثناء نشوئه الاستعمار كقاعدة مقبولة ومشروعة، تحوّلت هذه الظاهرة عبر الزمن إلى فعل ممجوج وغير مشروع لدى أغلب القوى الدولية الغربية المعاصرة.

ثمة فرضية أخرى تشير إلى حضور بعض السرديات العميقة على شكل تجليات مختلفة ومتباينة في الوقت الراهن، ومن بينها سردية التفوق العسكري الإسرائيلي على الدول العربية، وهذه السردية جرى تغذيتها عبر مجموعة من الانتصارات العسكرية الحاسمة التي حققتها إسرائيل على حساب الدول العربية منذ حرب سنة 1948 والنشأة (النكسة)، ثم الحروب التي توالت فيما بعد سنوات 1965 و1967 (النكبة)، بل وحتى حرب سنة 1973 التي خسرت فيها إسرائيل عنصر المفاجئة. ولكن سردية التفوق العسكري تشهد اليوم هزّات أعنف تزيد من ضبابية هذه السردية بالرغم من حضورها القوي في أذهان صنّاع القرار في إسرائيل، والسبب في ذلك هو معضلة الصراع اللاتماثلي[11] كمأزق استراتيجي واجه القوة العسكرية الإسرائيلية بشكل غير مسبوق أثناء حرب لبنان سنة 2006 ضد حزب الله، أمّا السبب الآخر فيعود إلى تراجع إمكانية الاعتماد المطلق على الولايات المتحدة الأمريكية من أجل التدخل المباشر في النزاعات والحروب التي تشنها إسرائيل.

ولذلك يمكن القول أنّ التحويرات والتغييرات التي تقع في البيئة الاستراتيجية الراهنة لإسرائيل من تحدّيات وتهديدات تلقي الكثير من الضبابية والغموض على السرديات التي مثّلت القوى الابتدائية للمشروع الصهيوني، من دون أن تلغي بشكل نهائي التأثيرات العميقة لتلك السرديات لتضع صناع القرار في إسرائيل أمام خيارين في منتهى التعقيد والصعوبة وهما: الإبقاء على استمرارية المقولات الأساسية للسرديات القديمة

كاتجاهات خطية لا تتغير، أي تجاهل كل مُدخلات البيئة الخارجية ممّا يفضي إلى معضلات ومشكلات لا حصر لها مثل معضلة الحرب اللاتماثلية التي واجهتها إسرائيل في حرب لبنان سنة 2006، أمّا الخيار الثاني فهو اختبار القطيعة مع السرديات القديمة والتجاوب مع التغيرات السريعة التي تحدث في البيئة الاستراتيجية لإسرائيل، وخاصّة مع دول الشرق الأوسط، وهذا الأمر ينطوي على مغامرة ورهان في منتهى الصعوبة في الحالة الإسرائيلية المؤسّسة على سرديات تقليدية ذات طبيعة ثيولوجية ولاهوتية لا تقبل التفاوض حولها مثل سردية يهودية الدولة كوجود وكينونة.

ويتجلى خيار خطية واستمرارية السردية، في افتراض وليد عبد الحي أنّ "الوجود والبقاء" هي أهم بنية عند صانع القرار الإسرائيلي، وذلك على خلاف أغلب الدول في العالم التي لا تهتم كثيرا بهذه المسالة بقدر اهتمامها بتحديات النمو والرفاه على الأصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية[12]، في حين ما يشغل إسرائيل بشكل مركزي هو "الوجود والاستمرار في الوجود"[13]، ويُبرر حضور هذه السردية بهذه القوة وجود سردية مواجهة لها في السياق الإقليمي العربي الذي طوّر بدوره سردية إسرائيل كخطر محدق على كينونة ووجود الوطن العربي من خلال ست حروب تمّ خوضها منذ ظهور إسرائيل بعد الحرب العالمية الثانية، فترسّخت هذه السردية على قاعدة الثنائية الصراعية العرب في مواجهة اليهود، كما مثّل براديغم القومية العربية Pan-Arabism[14] البنية الناظمة لسردية الوجود والبقاء، والقوة الدافعة وراء فهم التهديد والأمن لطرفي الصراع العربي- الإسرائيلي، وهو ما كان ظاهراً بشكل صريح في خطابات القادة السياسيين الإسرائيليين، الذين تجاهلوا وجود مفهوم الدولة الفلسطينية أو الشعب الفلسطيني منذ البداية[15]، فيما دافعت القومية العربية بقيادة جمال عبد الناصر عن نفس الأطروحة، أي العرب في مواجهة اليهود، ولذا فإنّ السردية تشكّلت على نحو تعاضدي بين العرب وإسرائيل، وساهمت في شحن الصراع على النحو الذي تمظهر به في الخمسين سنة الأولى من وجود إسرائيل.

وبناء عليه، فإنّ لسردية البقاء والوجود في إسرائيل آثار ومؤشرات مختلفة وذات دلالات واضحة على استمرارها الزمني، فتظهر في شكل توجس شديد من الزيادة الطبيعية في النمو السكاني للفلسطينيين، أو من أنماط تطور العلاقات الإيرانية الدولية، أو زيادة نسبة التعليم في مصر، أو امتلاك باكستان للأسلحة النووية، أو علاقات حزب الله مع مسلمي العالم.

وتمّ التعبير إسرائيليا عن سردية "الوجود والبقاء" بسياسات واستراتيجيات وفق منطق أُحادي يقتضي الاعتماد على مبدأ القوة العسكرية حصراً، لمواجهة كل أنماط التهديدات والمخاطر الأمنية، ولكن تصدّع مبدأ القوة العسكرية الإسرائيلية سواء بتأثير المآزق الاستراتيجية اللاتماثلية، أو بسبب العزلة والانطواء على مستوى العلاقات الدولية كمحصلة للمبالغة في استخدام القوة العسكرية، والنتيجة واحدة هو تداعي مبدأ

استخدام القوة العسكرية ورجحان حدوث قطيعة في مستوى الوسيلة التي تستخدمها السردية المرجعية والمتمثلة في "الوجود والبقاء"، وهو ما يدفع إلى الارتباك والتشتت أثناء اللحظة الراهنة، ما قد ينبئ بتغيّر مستقبلي عميق في إدراك جوهر السردية ذاتها.

تحضر سردية "الوجود والبقاء" في الرؤية الاستشرافية بدلالة الخطية والاستمرارية منذ اللحظة التأسيسية لإسرائيل كدولة سنة 1948 نحو المدى المستقبلي البعيد الذي يتجاوز اللحظة الراهنة نحو ما يقارب العشرين أو ثلاثين عاما المقبلة، وتتأسس رؤية "إسرائيل 2028" "Israel 2028" حول نفس السردية فيما تقترح سياسات واستراتيجيات غير عسكرية تقوم على تحقيق الازدهار الاقتصادي ومجتمع النوعية Quality society كضرورة جوهرية لدعم سردية البقاء والحياة[16].

وعلاوةً على ذلك، فإنّ السياسات غير العسكرية تضمن استمرار وتطوّر السردية ضمن مسار سلس بعيدا عن القطيعة والإرباك اللذين يفرضهما مزاوجة سردية البقاء والوجود مع استخدام القوة العسكرية، وعليه فإنّ التمشّي السببي الذي انطلق من السردية ليعود مرة أخرى إلى تأكيدها، سار عبر النموذج الآتي: لضمان وجود وحياة إسرائيل، على المجتمع الإسرائيلي أن يتحوّل في أغلبيته إلى تملّك المعرفة والتكنولوجيا، وضمن ظروف انسجام بين فئات المجتمع، المكوّن من منظومة متمكّنة من المقاولين الاقتصاديين، وخدمات إدارة عمومية فعّالة ومحترفة، ومتخصصة، وخالية من الفساد بإمكانها أن تضمن الازدهار الاقتصادي، وتوفير المخصّصات والموارد الضرورية لمواجهة التهديدات الأمنية وضمان رفاهية إسرائيل، أنظر الشكل 1

الشكل 1 : آلية استمرار سردية "البقاء والوجود" في مسار أو تمشي اجتماعي واقتصادي

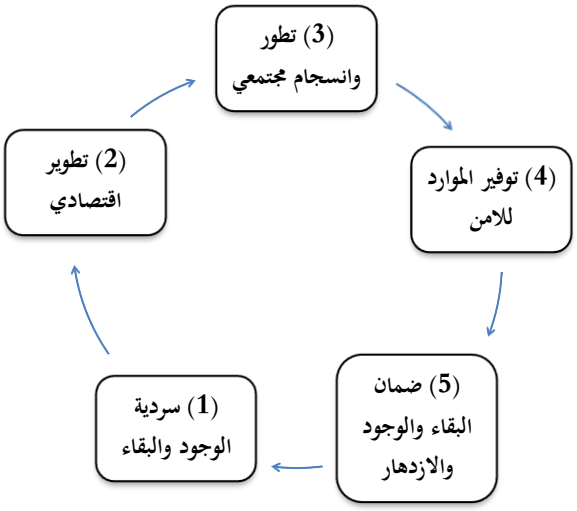

وبناءً على المنطق والتمشّي الذي افترضته رؤية "إسرائيل 2028" فإنّ ظاهرة مثل: الفقر، أو الفوارق الكبيرة في الدخل، تعد تهديدات لوجود وحياة إسرائيل ومستقبلها، وتحدّيات مثل: التعدد الثقافي والمجتمعي، أو رفض التعليم الحكومي أو رفض الوظائف الحكومية، ضمان استمرار التعليم من سن ما قبل المدرسة إلى الجامعة، وهي قضايا تحتاج إلى حلّها والتعامل الفعّال معها لأنّها تحدّيات غير مباشرة لضمان عدم التصدّع والقطيعة في "سردية البقاء والوجود".

إنّ رؤية "إسرائيل 2028" هي مقاربة ما بعد عسكرية وما بعد واقعية للتعامل مع سردية "البقاء والوجود" كإحدى السرديات التي يتأسس حولها المشروع الصهيوني، وفي المقابل، فإنّ المقاربة العسكرية كمنطق وتمشٍ اعتمدت عليه إسرائيل من خلال مجموعة من الحروب بدأت مع التأسيس سنة 1948، وكان آخرها حربها في لبنان في 2006 ضد حزب الله، ثم حروبها ضد غزة في 2008 و2014، وهي الحروب التي شكّلت مأزقاً استراتيجيا حقيقيا، نجم عنه شرخ على مستوى استمرار سردية "الوجود والبقاء"، وهو الشرخ ذاته الذي ظهرت بوادره في بعض الإشارات والمؤشرات الراهنة الدالة على ضبابية المشهد المستقبلي، مثل تزايد الاستقطاب الاجتماعي والسياسي داخل إسرائيل، الذي اقترحت رؤية "إسرائيل 2028" لمواجهته مشهدا مستقبليا يضمن "الوجود والبقاء" ونُسج على النحو الآتي :

{تحقيق الأمن المستدام سيغيّر من رؤيتنا لتطوّر الاقتصاد القومي وهو ما سيسهّل من تحقيق الأهداف الاقتصادية والاجتماعية، وفي المقابل فإنّ النزاع والحرب سيكونان عائقا أمام تحقيق الأهداف المرجوّة (الوجود والبقاء).}

إنّ مقاربة استخدام القوة العسكرية لضمان ما أسميناه بسردية "البقاء والوجود" الإسرائيلي تطوّرت ضمن التجربة التاريخية اليهودية الخاصّة، التي ابتدأت أثناء الحرب العالمية الثانية مع المحرقة النازية، التي ولّدت شعوراً قوياً بضرورة تحقيق البقاء والوجود، وتجلّى ذلك من خلال التعبئة القصوى لكسب القوة، والكبرياء، وتعزيز نوازع الانتقام لدى اليهود، داخل وخارج إسرائيل[17]، وهو ما تأكّد فعلياً بعد خوض إسرائيل لثماني حروب في أقل من 70 سنة (1948- 1965- 1967- 1973- 1982- 2006- 2008- 2014) ، واستمر الاعتماد على هذه الرؤية لدى الإسرائيليين فيما بعد عبر تعزيز فكرة قوة الجيش الإسرائيلي، وامتلاك القوة النووية ممّا يجعل إسرائيل في وضع تفوّق موضوعي في مواجهة النازية أو تهديدات الوجود في إسرائيل. ولكن أُصيبت المقاربة العسكرية بمجموعة من التحوّلات والتغيرات أدّت إلى إعادة النظر فيها كما أشارت إلى ذلك وثيقة "إسرائيل 2028".

ثالثاً: السردية الدينية وبناء المهمة التعاقدية في إسرائيل

يقودنا البحث فيما وراء تحليل القوى الدافعة (Meta-analysis of driving forces) في نظر باسيج إلى وجود سردية الهوية اليهودية–الإسرائيلية كسردية مركزية أخرى ذات أهمية قصوى وعلى علاقة ارتباط قوي بسردية الوجود والبقاء، كما تشرح بشكل أعمق سردية الوجود والبقاء عندما تطرحه ضمن إطار شرطية الوجود "raison d' être" في المستقبل وعلاقة ذلك بشعوب المنطقة والنسق الدولي على نحو شامل.

تعد سردية الهوية الدينية البنية الوحيدة التي تخلق التلاحم على مستوى الوحدة السياسية لإسرائيل وذلك على الرغم ممّا تثيره هذه السردية من جدل حول تاريخيتها وموضوعيتها، وهي بذلك تتموقع في أعمق الطبقات كقوة خفية تتحكم في متغيرات الاقتصاد والسياسة والإثنية، والقومية، والثقافة وغيرها.

يفكّك باسيج سردية الهوية الدينية إلى ثلاث طبقات Three strata أو بنيات أولية ترتبط فيما بينها بعنصر الأرض بدلالات ثيولوجية ولاهوتية وهي: أرض اللجوء land of refuge، أرض الاختيار land of choice، أرض المهمة land of mission، وكل واحدة من هذه البنيات تواجه معضلات ومآزق شوّهت السردية الدينية، وخلقت أوضاع لتطوّرات وتمشّيات تاريخية وراهنة قد تؤدّي مستقبلا إلى مشكلات بنيوية في تطور الكيان الصهيوني، فإذا تساءلنا: هل مثّلت إسرائيل من الناحية اللاهوتية أرض لجوء لكل يهود العالم؟ نجد في الواقع أنّ 40 بالمائة من الذين قدموا لجوءا إلى إسرائيل جاءوا إليها لأنّهم لم يجدوا مكاناً آخر في العالم يؤسسوا فيه حياة جيدة، ولذلك فإنّ الذين امتلكوا بدائل أفضل لم يقدِموا إلى إسرائيل، ولم يختاروا الاجتماع بالشعب اليهودي في جبل صهيون، وهنا يقدّم باسيج ملاحظة في غاية الأهمية وهي[18]: هل يمكن التعويل على فكرة أرض اللجوء كبنية وقوة دافعة داخل سردية الهوية الدينية في المدى المتوسط والبعيد لجلب يهود العالم إلى إسرائيل؟ ولحدوث ذلك لابد من وقوع حدث كارثي في الكوكب يكون سببا لتحويل إسرائيل إلى أرض لجوء بالنسبة ليهود العالم، وربط باسيج هذه السيناريو بالمدى الزمني البعيد جدّا، أي في حدود القرن 25.

كما تعد أرض الاختيار البنية الثانية في سردية يهودية الدولة، وتعمل هذه البنية على التشكّل على نحو اتجاه Trend متعاظم مبني على عملية تركيز ديموغرافي ليهود العالم في إسرائيل، فإذا شكّل اليهود نسبة 51 بالمائة ما بين 2010 و2015 فيتوقع أن يشكّلوا نسبة 71 بالمائة من يهود العالم في حدود 2030 و2040، ويعود ذلك لسببين رئيسين هما:[19]

- وجود مجموعتين يهوديتين تشهدان زيادة سكانية مع بداية القرن 21 على عكس أغلب المجموعات اليهودية الأخرى التي تشهد تراجعاً، والمجموعتان هما (يهود إسرائيل، والمجموعة اليهودية الموجودة في ألمانيا).
- التماثل الموجود بين يهود الدياسبورا من خلال الزواج بين اليهود الذي وصل إلى 55 بالمائة، ويُتوقع أن يرتفع بشكل مستمر.

أمّا البنية الأهم في تصنيف باسيج فهي أرض المهمة The land of mission ضمن سردية يهودية الدولة، وإذا حدث أيّ تغيّر على مستوى هذه البنية أو القوة الدافعة الأعمق، أو المهمة التعاقدية covenantal mission سوف يحدث تغير جذري في جوهر الصراع العربي– الإسرائيلي، لأنّها البنية تبث الطاقة والقوة في حقيقة الوجود raison d' être والشعوب التي لا تمتلك هذه الخاصية في سردياتها لن يكون لها أي تأثير، ولن تترك أي أثر تاريخي، والمهمة التعاقدية تكون واضحة ويمكن أن يعبّر عنها بأقل عدد من الكلمات، فالشعب الأمريكي مثلا يمتلك هذا المفهوم للمهمة التعاقدية، ممّا جعل الولايات المتحدة الأمريكية أكثر القوى العالمية دينامية في عصرنا الحالي، ويمكن تلخيص المهمة التعاقدية الأمريكية في "الحرية الفردية"، وكانت السردية الجوهرية وراء صوغ الدستور الأمريكي، كما عدّت القوة الدافعة للمؤسسات الأمريكية، والبنية المحركة للسياسة الخارجية وحتى إدارة الحروب الأمريكية.

ويمكن أن نلاحظ نفس الشيء على كتلة الاتحاد الأوروبي، حيث بدت الحاجة ماسّة إلى وضع المهمة التعاقدية بشكل واضح لا لُبس فيه، تكون إطارا لكل الديناميات التي تنخرط فيها المجموعة الأوروبية، فكانت "الوحدة في التنوع" Unity in diversity، إنّ المهمة التعاقدية هي مبرر وجود واستمرار الجماعة والأفراد، وتمنح لوجودهم معنى، وبدونها تكون الجماعة عرضة لميكانيزم التدمير الذاتي.

ولكن باسيج يعتقد إنّ إسرائيل تواجه مشكلة عويصة في تحديد المهمة التعاقدية الممثلة لأهم سردية على الإطلاق، ويبدو أنّ الخمسين سنة المقبلة ستلقي الضوء بشكل أكبر على هذه المعضلة في كل جوانبها، فالانقسام والشرخ المجتمعي غير قابل للرأب بين المجتمع الداخلي في إسرائيل (اليهود، الديمقراطيين، الحداثيين، و25 بالمائة أقلية غير يهودية)، علاوة على وجود يهود الدياسبورا الذين يشكّلون أغلبية بالمقارنة مع يهود الداخل.

شكّلت سردية يهودية الدولة التي طُرحت مع إعلان بن غوريون أثناء تأسيس دولة إسرائيل في 1948 مشكلة حقيقية، حين طُرحت كمهمة تعاقدية شديدة الغموض، في الدلالات التي تُحيل إليها، أو

استعصائها أمام محاولات التطبيق والتنزيل في المجال العملي[20]، فمعضلة وجود الشرعية أو انعدامها لوجود دولة إسرائيل في فضاء عُرّف بشكل لاهوتي/ تاريخي على أنّه أرض إسرائيل غير قابلة للحل.

يواجه الإسرائيليون مشكلة تحديد المهمة التعاقدية منذ بداية المشروع الصهيوني، وسوف تلقي هذه المشكلة بظلالها فيما بعد على مستقبل إسرائيل، ولذلك اقترح باسيج على يهود الداخل أخذ المبادرة وحسم المسألة لصالح إقامة دولة إسرائيلية ديمقراطية بناء على قيمة العامل الثقافي الذي يجمع بين الغرب والشرق Bridging East and West[21]، فاعتماد يهودية الدولة كمهمة تعاقدية، وكقوة دفع ابتدائية للمشروع الصهيوني، يدفع نحو دورات صراع وعنف لا يمكن لأي دولة أن تتحملها مهما كان لها من مقدرات القوة، ويضع مستقبل إسرائيل على المحك، كما يفتح إمكانية حدوث القطيعة في السياسات والتمشّيات بسبب الفجوة الكبيرة بين السردية والإكراهات الجديدة التي تفرض بإلحاح على إسرائيل إعادة التفكير في سردية يهودية الدولة.

رابعاً: السرديات الإسرائيلية ومخاطر تجاهلها مستقبلا

قدّم آفنر غولوف وفريقه البحثي محاولة لحل معضلة سردية الوجود والبقاء لإسرائيل، ووقفوا على حاجة إسرائيل لفهم تعقيدات هذه المعضلة وتجلياتها على البدائل المستقبلية المحتملة في مدى العشرين عاما المقبلة، وتُظهر نتائج دراسة غولوف إجماعاً لدى أعضاء الفريق البحثي على وجود اتجاهات راهنة current trends تُفصح عن حجم المشكلات التي تطرحها سرديات الوجود والبقاء الإسرائيلي، ومن بينها الاتجاهات الآتية[22]:

"شبكة المقاومة" كنوع جديد من الأعداء: وهي تطوّر لفواعل متعددة، من أشكال كثيرة، وتشتغل لأهداف مختلفة، يمكن أن تتعاون وتتحالف فيما بينها للصراع ضد إسرائيل، وبعضها يهدف إلى إنهاء وجود إسرائيل، فضلا عن تشكّل آخر لشبكة مقاومة ذات منطق سياسي، تهدف إلى تفجير إسرائيل من الداخل، كما حدث في جنوب إفريقيا مع نظام الميز العنصري، أو الاتحاد السوفييتي من خلال سياسات الغلاسنوست والبيروسترويكا، ممّا يدفع نحو زيادة الضغط السوسيو-سياسي، والاقتصادي والدولي، وتآكل الشرعية. ويتضمن اتجاه شبكة المقاومة مجموعة من الاستراتيجيات التي تتعاضد فيما بينها لتخلق أثر الانفجار من الداخل مستقبلا في إسرائيل، ويصنفها غولوف وآخرين كالآتي:

- منع استدامة نجاح ومنجزات إسرائيل في المستويات العسكرية والسياسية، بإلحاق العطب بأية محاولة أحادية أو جماعية لإنهاء السيطرة والاحتلال الإسرائيلي للفلسطينيين.
- تعزيز فكرة التأسيس لدولة فلسطينية عربية وإسلامية كبديل لإسرائيل.
- إلغاء حق إسرائيل في الوجود من خلال نزع بنيوي للشرعية عن إسرائيل.

وقد نجحت شبكات المقاومة في منع إسرائيل من تحقيق نصر عسكري حاسم، أو تفوّق سياسي يؤمّن وجودها كدولة يهودية ديمقراطية، من خلال التفاوض، أو القرارات الأُحادية.

استمرار الاحتلال يضاعف من مخاطر انفجار إسرائيل من الداخل: أدركت شبكات المقاومة أنّ نهاية الاحتلال الإسرائيلي على الأراضي الفلسطينية هي مصلحة إسرائيلية جوهرية، واستمرار السيطرة والاحتلال الإسرائيليين يضاعف من فرص الانفجار الداخلي الإسرائيلي، أمّا إنهاء الاحتلال الإسرائيلي وتحويل النزاع إلى نزاع حدودي "border conflict"، وتأسيس دولة فلسطينية بحدود مؤقتة، قد يضع تهديداً استراتيجيا لشبكة المقاومة ممّا يؤدّي إلى تداعي شرعية بقاءها واستمرارها في الصراع مع إسرائيل.

ثمّة اتجاهات راهنة أخرى، تسهم في تعقيد سردية البقاء والوجود لإسرائيل في المستقبل في حال استمر حضورها ومنها: اتجاه ضعف السياسة العملياتية لقوات الدفاع الإسرائيلية، اتجاه تراجع القوة الأمريكية وتعرّض اللوبي الإسرائيلي فيها للهجوم، اتجاه بروز بوادر الهيمنة الإيرانية الإقليمية، اتساع الفجوة ما بين أشكال التحديات وقدرات الحكومات الإسرائيلية، اتجاه صعوبة إنهاء احتلال الأراضي الفلسطينية على الرغم من تضاعف تكلفة الاحتلال، وتزايد الاعتماد الإسرائيلي على المجتمع الدولي، اتجاه تزايد أعباء الصراعات غير التقليدية Supra- conventional conflicts، اتجاه تغير المنظور الإسرائيلي للردع، اتجاه تزايد التهديدات التكنولوجية.

إنّ الاتجاهات التي تتشكل اليوم في المشهد الأمني الإسرائيلي تضع صانع القرار أمام مهمة إنقاذ سردية الوجود والبقاء من التصدع النهائي، في ظل تراجع أدوات السردية ذاتها مثل التفوق العسكري المطلق في الصراع. وفي حال فشل صانع القرار في هذه المهمة، واستمرت الاتجاهات الحالية بنفس الوتيرة على المدى المستقبلي البعيد، على النحو الذي يضاعف من التأثيرات التفاعلية (السببية) بين الاتجاهات، سوف يؤدّي في الأخير إلى انهيار دراماتيكي لاستراتيجية الأمن القومي الإسرائيلي، والتداعي النهائي للسردية المركزية حول "الوجود والبقاء"، ممّا يخلق إمكانية تأسيس دولة فلسطينية/ عربية/ إسلامية تحل محلّ إسرائيل[23] وذات علاقات وطيدة بإيران، كبديل سياسي ناضج في المدى البعيد.

لقد تمّ التأسيس لسردية البقاء والوجود لإسرائيل على مستقبلة مرغوبة Preferred future لدى صانع القرار الإسرائيلي، نوّه إليها بن غوريون أثناء اللحظة التأسيسية، وتمثّلت في الحاجة إلى صنع عقيدة عسكرية وأمنية، تتجاهل ضرورة صوغ أهداف دبلوماسية تتلاءم مع شروط النظام الدولي[24]، وهذا أدّى عبر الزمن إلى وجود خلل في التخطيط الاستراتيجي الإسرائيلي، كما يساهم راهنيا في تقويض السردية، وتجلّى ذلك في نمو عدد من الاتجاهات والإشارات التي يؤدّي إهمالها إلى نسف السردية المؤسِّسة وانهيار المشروع القائم عليها.

وثمّة مشكلات أخرى ساهمت بدورها في ترسيخ محدودية صانع القرار الإسرائيلي في إحداث تلاؤم بين سردية الوجود والبقاء مع إمكانية التخطيط الاستراتيجي الفعّال، نجمت عن محاولات المؤسسين لدولة إسرائيل احتكار مقاليد السلطة بيد رئاسة الوزراء، بينما جرى تقليص صلاحيات السلطات التنفيذية في صوغ السياسات العامة الأمنية، وكان لذلك تأثير عميق على السياسة الأمنية الإسرائيلية، التي اتسمت بالظرفية Short-term interest، وفشلت في خلق الطابع المؤسساتي البعيد المدى Long-term interests النسقي والمنظم.

أمّا بخصوص معضلة سردية يهودية الدولة المرتبطة بغموض المهمة التعاقدية للإسرائيليين، ومَن عليه صوغ هذه المهمة التعاقدية؟ هل هم يهود الداخل أم يهود الخارج (الدياسبورا)؟ فضلا عن امتزاج هذه السردية بعناصر أخرى كالأسطورة والإيديولوجية والحس التاريخي بالتميّز العنصري أثناء إنشاء الكيان الصهيوني سنة 1948، ولكن يبدو أنّ مستقبل إسرائيل لن يعتمد كثيرا على سردية يهودية الدولة كمهمة تعاقدية وضعفها يعود إلى وهم المعايير اليهودية واللاهوتية، وثقافة الجيتو المتجذرة في الوجدان الإسرائيلي، فضلاً عن التجاذبات بين يهود الداخل ويهود الخارج، وبين المتدينين والعلمانيين، وبين الإشكينازيم والسفارديم، والمهاجرين الروس والإثيوبيين، وغيرها، كما تعاني الدياسبورا اليهودية بدورها من تجاذبات ما بين طرح "حركة التنوير اليهودية" المعروفة بالهسكلاه، وتوجّها الاندماجي داخل المجتمعات الأوروبية من خلال ممارسة الديانة اليهودية في البيت والمعبد فقط، عبر شعار "كن يهوديا في بيتك وإنسانا خارج بيتك"[25]

خاتمة:

إنّ البحث في السرديات المركزية الإسرائيلية يقف وراءه حاجة ماسّة إلى معرفة القوى الأساسية الابتدائية للمشروع الصهيوني، من خلال تتبع سلاسل الأحداث بالتراجع زمنيا إلى اللحظة التأسيسية

للمشروع. وتواجه تلك السرديات المؤسّسة تحدي التحويرات والتغييرات التي تقع في بيئتها، كما تواجه معضلة الغموض والضبابية بسبب زخم الأحداث والإشارات المركبة في الحاضر، وهو ما يدفع بالباحث إلى محاولة تفسيرها وفهمها من خلال منطق استشرافي عبر منهجية تحليل ما ورائي للقوى الدافعة، من أجل تقليص طيف الريب والغموض في نسيج الظواهر وزخم الأحداث اليومية.

لقد شغلت سردية "البقاء والوجود" عقل صانع القرار الإسرائيلي أكثر من أي سردية أخرى، وقد تمظهرت هذه السردية في أشكال وتعبيرات مختلفة، سواء في الخطابات السياسية للقادة الإسرائيليين، أو في منطق إدارة مؤسسات الحكم الإسرائيلي، فضلا عن كون هذه السردية الركيزة الأساسية لعقيدة التفوق العسكري الإسرائيلي، التي أذكت الصراع العربي–الإسرائيلي على نحو غير مسبوق تجلّى في خوض إسرائيل لثماني حروب عنيفة في أقل من 70 سنة من وجودها.

أمّا السردية الدينية التي تنادي بيهودية الدولة فقد لعبت دورا جوهريا كسردية مساعدة ومكملة لسردية "البقاء والوجود" عندما تطرح في إطار شرطية الوجود raison d'être والعلاقة مع الآخر، ولكن بدا أن السردية الدينية تتكون بدورها من ثلاث مكونات فرعية سمّاها باسيج بالطبقات Strata، وتتميز هذه المكونات بارتباط دلالاتها الثيولوجية بمفهوم الأرض، وهي: أرض اللجوء، أرض الاختيار، أرض المهمة، وتواجه كل واحدة منها أسئلة ومعضلات عديدة، قد يؤدي الفشل في حلها إلى فشل في صوغ المهمة التعاقدية، والذي يعني انهيار للمشروع الصهيوني وإيذانا بزواله في المدى البعيد.

الهوامش:

[1] David Passig, The Future of Israel (2005): 12
https://www.passig.com/sysvault/docsfiles1/FutureIsraelCovenantEng.pdf

[2] أنظر: محمد خميس، المستقبل الأمني للقوة الأميركية في أفق ٢٠٢٥(قطر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات) 2019.

[3] George Wright, George Cairns, Scenario Thinking Practical Approaches to the Future (New York: Palgrave Macmilan 2011):132

[4] للمزيد من الشرح يمكن الرجوع إلى دراستنا: محمد خميس، "الخيارات المعرفية والمنهجية في بناء السيناريوهات لدى المدارس الاستشرافية" مجلة استشراف للدراسات المستقبلية، الكتاب السنوي الأول (2016)، 105- 133

[5] JPPI, Shifting Trends in the West and their impact on Israel and the Jewish people, The Conference on the Future of the Jewish People (2017 February 28- March 1): 7

[6] JPPI, 12

[7] تمّ تناول هذه المتغيرات ضمن مؤتمر الذي عُقد حول مستقبل الشعب اليهودي ما بين 28 فيفري و1 مارس 2017 تحت عنوان: "الاتجاهات المتحولة في الغرب وتأثيرها على إسرائيل والشعب اليهودي"

[8] Avner Golov, et al, "A National Security Doctrine for Israel," Policy paper, Argov Seminar (23. 5. 2010)

http://portal.idc.ac.il/en/argov/documents/a_national_security_doctrine_for_israel_-_avner_golov_ran_michaelis_ory_vishkin_rony_kakon.pdf

[9] Passig, 11

[10] Global Europe Anticipation Bulletin, "Israel 2020: 2 scenarios for the future Scenario 1: Towards the end of the State of Israel / Scenario 2: Towards a durable Israeli state"https://geab.eu/en/israel-2020-2-scenarios-for-the-future-scenario-1-towards-the-end-of-the-state-of-israel-scenario-2-towards-a-durable-israeli-state/

[11] الصراع اللاتماثلي: هي حرب تُخاض بين فاعل هو الدولة بما تمتلكه من قوات مسلحة، وتشكيلات وأنساق معدّة بدّقة لمواجهة عدو منظم، وبين فاعل غير دولة يمتلك أنساقا أو تنظيمات لا تمتلك قواعد منظمة يمكن مواجهتها، ولا قواعد واضحة يمكن استهدافها.

[12] ثمة جدل علمي في نظريات العلاقات الدولية بين الليبراليين والبنائيين من جهة والواقعيين من جهة أخرى حول أولوية الأمن المتمثل في وجود واستمرار الدولة ماديا ووظيفيا كهدف جوهري يغنيها عن أهداف أخرى كالاقتصاد والمأسسة الدولية، ومسائل التعاون الدولي في مختلف مجالاته، ولذا يتأكّد النزوع الواقعي جليا في سردية البقاء والوجود لدى صانع القرار الإسرائيلي.

[13] وليد عبد الحي، التحديات الاستراتيجية للفكر الصهيوني، مركز الجزيرة للدراسات: قطر، (26 فبراير 2012): ص 2

[14] Netanal Govhari, The Paradox of Israeli-Palestinian Security: Threat Perceptions and National Security vis-à-vis the Other in Israeli Security Reasoning (London: International Center for the Study of Radicalization, Department of War Studies 2018), 3

[15] أشارت إلى ذلك رئيسة الوزراء الإسرائيلية غولدا مائير، في حوار لها سنة 1970 في قناة ثامس Thames، عندما قالت أنه لا توجد أمة فلسطينية ولا حكم فلسطيني بل هناك عرب ويهود فقط (الدقيقة 18:30)

http//www.youtube.com/watch?v=w3FGvAMvYpc.

[16] David Brodet, Israel 2028: Vision and Strategy for Economy and Society in Global World (US. Israel Science and Technology Commission and Foundation, 2008), p. 47

[17] رشاد عبد الله الشامي، إشكالية اليهودية في إسرائيل (الكويت: سلسلة عالم المعرفة 224، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب 1997)، ص، 17

[18] Passig, p.19

[19] Passig, p.19

[20] Nicola Mathie, 'Jewish sectarianism' and the State of Israel, Global Discourse, (2016) 6:4, 601-629

[21] Passig, 27

[22] Golov, et al, p. 42

[23] The Reut's Institute, Updating Israel's National Security (April, 2007), 4

[24] Golov, 3

[25] الشامي، ص 10

المراجع:

- عبد الحي، وليد. التحديات الاستراتيجية للفكر الصهيوني. مركز الجزيرة للدراسات: قطر. 2012

- عبد الله الشامي، رشاد. إشكالية اليهودية في إسرائيل. الكويت: سلسلة عالم المعرفة 224، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. 1997
- خميس، محمد. **المستقبل الأمني للقوة الأميركية في أفق ٢٠٢٥**قطر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. 2019.
- ---------، ---------. "الخيارات المعرفية والمنهجية في بناء السيناريوهات لدى المدارس الاستشرافية" **مجلة استشراف للدراسات المستقبلية**، الكتاب السنوي الأول (2016)، 105- 133

- Brodet, David. *Israel 2028: Vision and Strategy for Economy and Society in Global World*. US. Israel Science and Technology Commission and Foundation. 2008
- Global Europe Anticipation Bulletin, "Israel 2020: 2 scenarios for the future Scenario 1: Towards the end of the State of Israel / Scenario 2: Towards a durable Israeli state"https://geab.eu/en/israel-2020-2-scenarios-for-the-future-scenario-1-towards-the-end-of-the-state-of-israel-scenario-2-towards-a-durable-israeli-state/
- Golov, Avner. Vishkin, Ory. Michaelis, Ran. Kakon, Rony. "A National Security Doctrine for Israel," *Policy paper*, Argov Seminar (23. 5. 2010) http://portal.idc.ac.il/en/argov/documents/a_national_security_doctrine_for_israel_-_avner_golov_ran_michaelis_ory_vishkin_rony_kakon.pdf
- Govhari, Netanal. *The Paradox of Israeli-Palestinian Security: Threat Perceptions and National Security vis-à-vis the Other in Israeli Security Reasoning*. London: International Center for the Study of Radicalization. Department of War Studies. 2018
- Mathie, Nicola. 'Jewish sectarianism' and the State of Israel, *Global Discourse*, (2016) 6:4, 601-629
- Passig, David. *The Future of Israel*. 2005 https://www.passig.com/sysvault/docsfiles1/FutureIsraelCovenantEng.pdf
- The Jewish People Policy Institute. Shifting Trends in the West and their impact on Israel and the Jewish people. *The Conference on the Future of the Jewish People* (2017 February 28- March 1)
- The Reut's Institute, *Updating Israel's National Security*. 2007

- Wright, George. Cairns, George. *Scenario Thinking Practical Approaches to the Future*. New York: Palgrave Macmilan. 2011